1

سلسلة مصر الحضارة

إخناتون ونفرتيتى

بقلم

دكتور على حسن

دار المعارف

تصميم الغلاف والإخراج الفنى :

منال بدران

تنفيذ الغلاف والمتن :

المركز الإلكترونى

بدار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

المصريون شعبٌ يخاف الله، ولَهُ عقائدُه طَوالَ فتراتِ التَّاريخِ القديمِ والحديثِ. . ولقد مَنَّ اللهُ على مصرَ وشعبِها بأن أرسلَ لهم من أبنائها النابغين فى السياسة والعلوم، والآداب، وعلمِ الاجتماعِ، والفنونِ، والهندسةِ، والطبِّ، والموسيقى، والعلومِ الدينيةِ.و «إخناتون» هو ابنُ الفرعونَ «أمنحوتب الثالث» واحدٌ من أعظمِ فراعنةِ وادى النيل، وَرِثَ دولةً مُستقرةً وكانتْ مصرُ من أغنى دولِ العالمِ فى ذلك الوقتِ وكان لها جيشٌ قوىٌّ صنَعهُ القائدُ الماهرُ «تحتمس الثالثُ» فى وسطِ هذا الترفِ والغنى والاستقرارِ، وُلِدَ «أمنحوتب الرابعُ» (إخناتون) قبل أن يغير اسمه بعد اعتناقِه للدينِ الجديد.

الجزء العلوى من تمثال إخناتون (فن العمارنة الجديدة) .

وكانت أُمُّ إخناتونَ الملكة «تى» سيدةً تتمتعُ بشخصيَّةٍ ذَاتِ جاذبيةٍ أَخاذةٍ، وعقلٍ راجح ، أدرك أمراءُ الشرقِ وملوكهُ ذلك كلَّه ، وكانت تصل إليها الرسائلُ التى يطلبُ أصحابُها فيها تحسينَ العَلاقاتِ السياسيةِ بينهم وبين «إخناتونَ» ابنِها.

الملكة « تى » أم إخناتون .

• حكم إخناتون :

ولقد حكمَ « إخناتونُ » مع والدِه « أمنحوتب الثالث » أثناءَ مرضِه لعدة سنواتٍ قبل أن يقومَ بانقلابه الدينى وثورتهِ على الديانةِ القديمةِ الخاصَّةِ بالإله « آمون – رع » إله العاصمة « طِيبَة » (الأقصر) ، ومصَر كلِّها شمالِها جنوبِها.

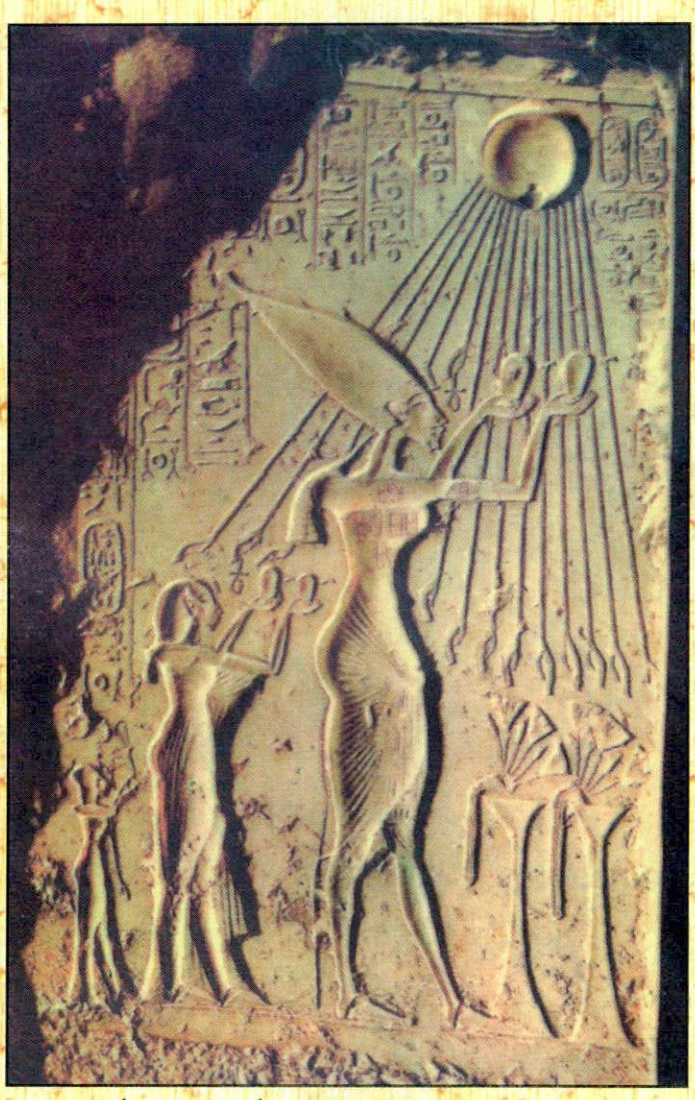

« إخناتون » يتعبد للإله آتون تدلى منه أشعة تنتهى بالأيدى
وخلفه زوجته « نفرتيتى » .

تولَّى « إخناتونُ » عرشَ البلادِ وكانت كلُّ الأُمور مُهَيَّأَةً له لعبادةِ إلهِ « آتون » وحدَه ، ورمزَ له بقرصِ الشمسِ تَتدلَّى منه أَيد وقال عن معبودِه : إنه القوةُ الكامنةُ وراءَ قرصِ الشمس وإنه واحد أحد لا شريك له .

ولقد قام ببناء معبدٍ لإلهه الجديد بمدينة الأقصر فى معبد الكرنك الحالى (دُمِّرَ هذا المعبد بعد وفاته واستُعملت حجارتُه كحشوٍ لمبان أخرى) . ولقد طلبَ من الكهنةِ جَميعِهمْ أن يَعْبُدُوا إلهَهُ دونَ غيرِهِ من الآلهة الأخرى ، هذا التحريمُ الذى قام به « إخناتون » ، والخاصُّ بعبادةِ إلهٍ واحدٍ قضى على المذاهبِ الأخرى وأفلح فى نَشْرِ دينِهِ الجديدِ فى طُولِ البلادِ وعَرضِها ، ولقد تَعرَّضَ « إخناتون » لصراعٍ مَرير مع كهنةِ « آمون » والشىءُ الغريبُ أن مَعْلومَاتِنا قليلةٌ عن الشجارِ الذى تَمَّ بين « إخناتون » وبين كهنةِ آمون – وأن « إخناتون » كانَ عندَه مرارةٌ وحزنٌ، وألمٌ مما فَعَلَه به كهنةُ « آمون » خِلالَ الفترةِ التى قَضاها بالعاصمةِ طيبة قبل أن يَرْحَل إلى عاصمتِه الجديدَةِ ويُقالُ إن « إخناتون » تَركَ طيبةَ بعدَ حوالَىْ ٤ – ٦ سنوات إلى عاصمة ملكه ودينِهِ الجديدِ « أخت – آتون » .

• آمون وإخناتون :

كان « إخناتون » يمقت الإله « آمون » والآلهةَ الأُخْرى مَقْتًا شَديدًا فأغلقَ المعابدَ أينما وُجِدتْ – ومحا اسمَ الإله « آمون » من كلِّ مكانٍ بل مَحا اسمَ والدِهِ لأنَّ فى تركيبةِ اسمِهِ كلمةَ « آمون » وفَعَل نفسَ الشَّىءِ بكل الآلهة الأُخرى، حتى إن كلمة آلهة بصيغة الجمع محاها من كلِ المعابدِ – حتى لا يُفكر الناسُ إلا فى إلهٍ واحدٍ هو الإله « آتون » .

كان « إخناتون » يدركُ اهتمام إلهه « آتون » بجميعِ المخلوقاتِ، وهذا رَفعَ من شأن الحركةِ التى قام بها والتى تختلفُ فى أسلوبها إلى حد بعيدٍ عما كانت قدْ وصلتْ إليه ديانَةُ قدماءِ المصريين قَبْلَهُ أوْ ديانات الشرقِ القديمِ جميعِهِ ، نحن نَجدُ « إخناتون » يقول لإلهه : « أنت أب وأمٌّ لكل ما صنعتَ » .

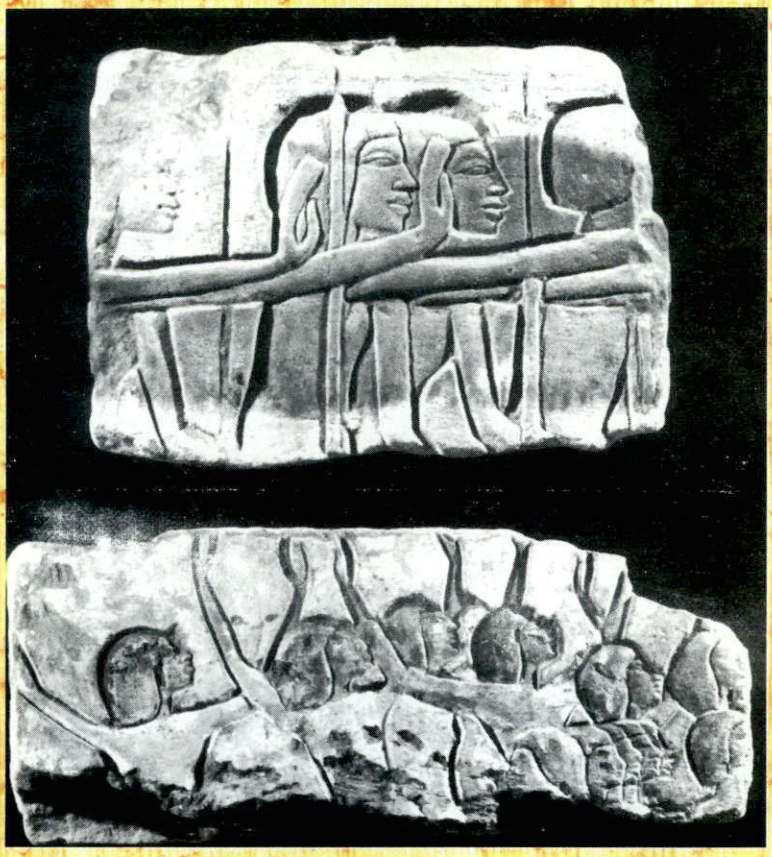

أهالى مدينة إخناتون يحتفلون به ذاهبا للمعبد .

• آتون – والشعب :

وكان هناك شعورٌ قويٌّ عند أفرادِ الشعب بوجود الإله « آتون » والاعترافِ بوحدانيتهِ – فحقولُ نبات السوسن تتفتحُ أزهارُها بإشعاعِ « آتون » الأخاذِ الذى تنشرُ الطيورُ أجنحَتها فى هذه الحقولِ تَعْبدُ الإله « أتون الحى » وتَسْعدُ الماشيةُ فرحةً بأشِعةِ الشمسِ ، ويَثِبُ السمكُ فى النهر مُرحبًا بالنور العالمىّ الذى تَنفذُ أشِعتُه فى النهر والبحر .

هذا يكشفُ لنا عن مدى إدراكِ كلِ المخلوقاتِ بالوجود العالمى وعن اقتناعِ داخلى يعترفُ بذلك الوجودِ للإله « آتون » عند كلِ المخلوقاتِ. وهذا التقديرُ لوحى الإله فى العالمِ الحىِّ والاعترافِ بوجوده تراه مذكورًا بعد عصر « إخناتون » بحوالى ٨٠٠ سنة ، مذكورًا فى « مزامير داوود » بالعبريةِ وكذلك على لسانِ شعراءِ الطبيعةِ خلال المدة من ١٧٧٠ - ١٨٥٠ ميلادية - شعراءُ إنجليز وغيرهُم لهم أشعارٌ فى وصفِ الطبيعةِ تُشْبهُ إلى حدٍّ كبيرٍ ما نادى به « إخناتون » منذ ٣٥٠٠ سنة .

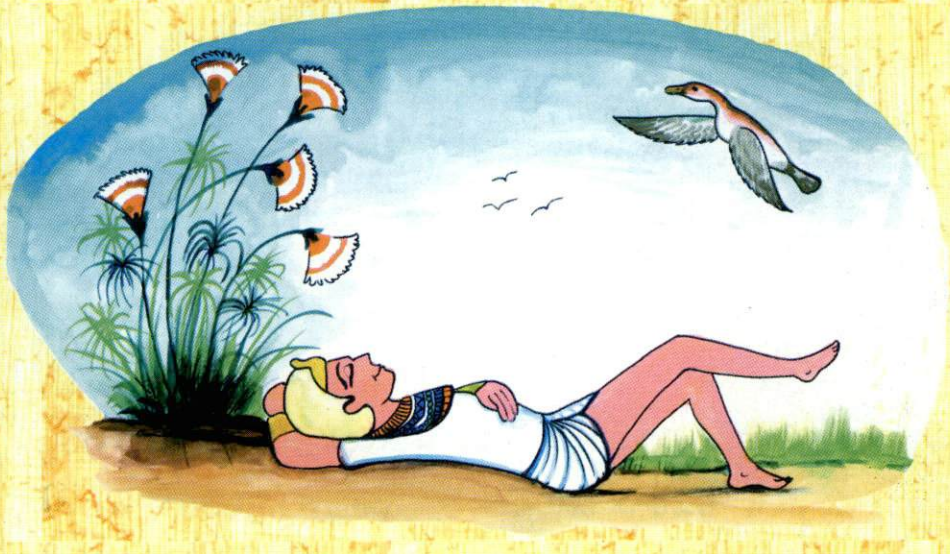

مناظر من الزهور
من قصر إخناتون .

• إخناتون وآتون :

الملاحظةُ الهامةُ فى ثورةِ إخناتون الدينيةِ العظيمة رغم أن لها أصلاً سياسيًّا نجدُه رغمَ أفكارِه عن الطبيعةِ وحقولِ « السوسن » ، كان مأخوذًا بجمالِ النورِ الأبدىِ العالمىِّ الذى كان إخناتون يجعله قاصرًا عليه وعلى الملكةِ وأولادِه – وكان يَدَّعى لنفسه علاقةً مباشرةً مع الإله « آتون » لا يشاركهُ فيها أحدٌ – ويُفَسِّرُ هذا بعضُ العلماءِ على أنه ادَّعى النبوةَ بمعنى أن الإله يُعلِّمُه وهو يُعلمُ قومَه، ومن دعوات « إخناتون » : ليتَ عَيْنَىَّ تنشرحَانِ بمشاهدةِ « آتون » يوميا حينما يشرقُ فى مَعبَدِه ويملؤُه بأشعتِه ويرسلُها علىَّ فى حياةٍ راضيةٍ أبد الآبدين .

وكان « إخناتون » يمرح ويتحدث عن الجمالِ والحبِّ والنورِ على أنها البراهينُ الدالةُ على وجودِ « آتون » . يتحدث إخناتون عن هذا كلِّه بنشوةٍ وفرح لا نظيرَ لهما .

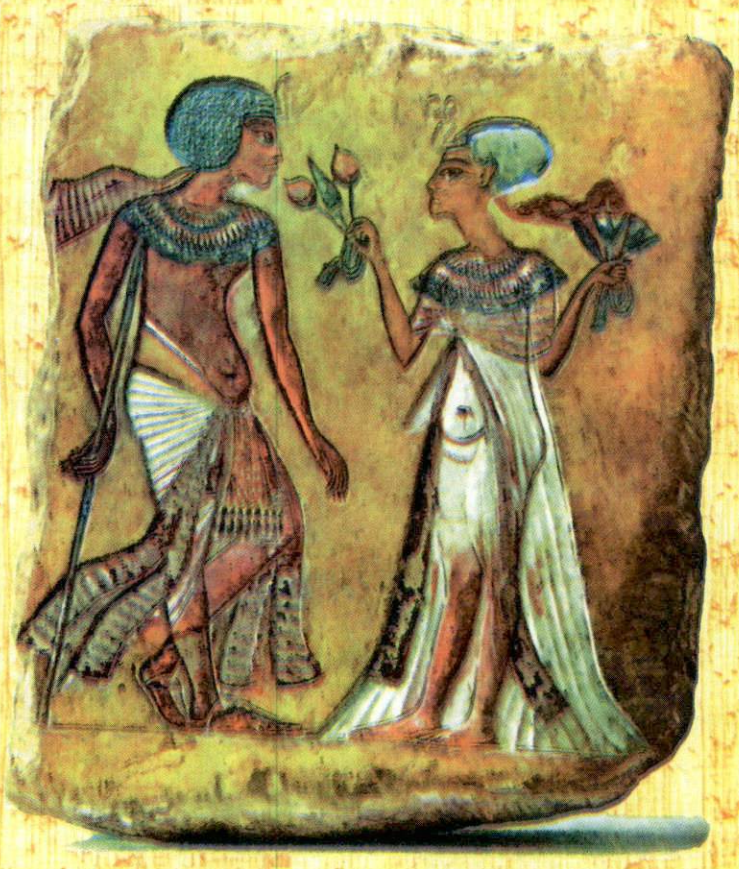

إخناتون وزوجته نفرتيتى فى الحديقة .

• ثورة إخناتون الدينية :

هذه الثورةُ جعلتْ إخْنَاتُون يَعتقدُ أَن الجمالَ والرحمةَ هما النظامُ الطبيعيُّ وهما اعترافٌ برسالةٍ وحيِ الطبيعةِ إلى روح الإنسان مما جَعلَ حركة إخناتون الدينية تُعَدُّ من أَقدمِ الدعوات التى يُطْلقُ عليها الرجوعُ إلى الطبيعة. فالرسامون فى ذلكَ الوقتِ كانوا يصورون حياةَ المستنقعات البرِّيةِ بروحٍ جديدةٍ، فمثلا مناظرُ « قصر إخناتون » التى تزينُها قاعة مملوءة بمناظرَ سارةٍ للحياة الجديدةِ تُشعرُنا عند رُؤيتها بشيء من العاطفة القويةِ، إذ صور الفنانُ أحدَ الثيرانِ الوحشيةِ يقفزُ فى أدغَال البردى ضاربًا برأسهِ نحوَ الطيورِ التى تخشاه وتتركُ عِشَشَها فارة هاربة .

وهذا الأسلوب الجديد الذى استمد إلهامَه من جمالِ الطبيعةِ فى عصرِ « إخناتون » ظهرَ واضحًا فى الحياةِ الإنسانية والعلاقاتِ البشريةِ ، نجد « إخناتون » قد مُثِّلَ مع أسرته باللونِ الطبيعى البهيج ، إذْ عُثِر على تمثالٍ صغير غير تام الصنعِ من الحجر فى مَصنعِ أحدِ المثَّالين الملكيينَ بتل العمارنة ، لم يَقْتصِرْ فيه صانعُه على تمثيلِ الملكِ جالسًا، بل يضعُ ابنتَهُ الصغيرةَ فوقَ حِجْرِهِ وهو يَضُمُّها كما يضمُّ الأبُ الملكى أميرةً صغيرةً بل مُثِّلَ الفرعونَ وهو يقبلُ ابنته الصغيرة كما يفعل أىُ والدٍ بسيطٍ مع ابنتهِ – منظرٌ فريدٌ لم نَرَ مثلَه طَوالَ العصورِ الفرعونيةِ وهذا كان بالطبع لا يُعجِبُ المحافظين على التقاليدِ فى عصر إخناتونِ وهمْ أولئك الأشرافُ ورجالُ البلاطِ ورجالُ التقاليدِ القديمةِ . الذين يرونَ وجوبَ تصويرِ الفرعون كما كانَ يُصوَّرُ قبلَ « إخناتون » فى هيبةٍ وجلالٍ جامدِ الملامح، يُصورُه الفنانُ شخصيةً مقدسةً خاليةً من المشاعر البشريةِ أو الضعف الإنسانى. ومن الأمثلةِ الممتازةِ فى هذا

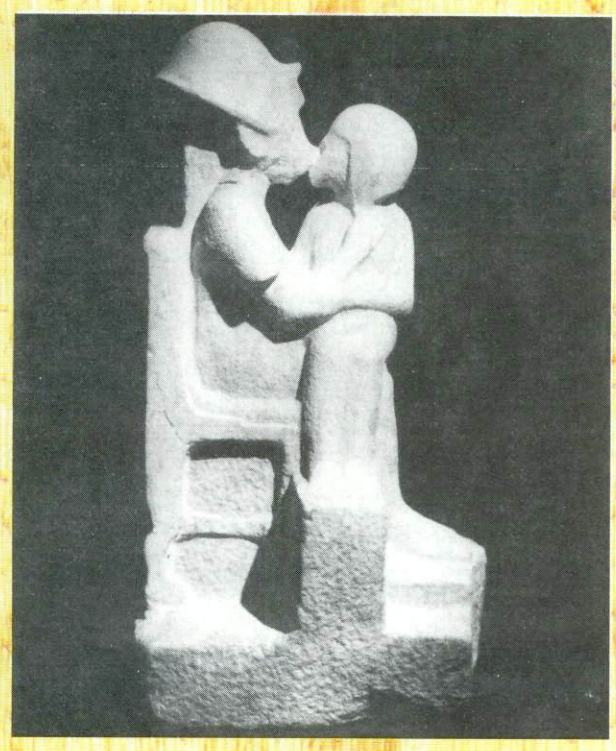

إخناتون يقبل
إحدى بناته .

الشأن فى تصْويرِ الطبيعةِ الإنسانيةِ للملوك هو كُرسىُّ « توت – عنخ – آمون » المزينُ بمنظرٍ يَظْهرُ فيه الملكُ الشابُّ جالسًا بحالةٍ تدلُّ على البساطةِ وعدم التكلفِ إذ نُشاهدُ إحدى ذراعَيْه وهو يَلُفُّها باسترخاء فوق ظَهْرَ كرسيه فى حين أنَّ الملكةَ الشابةَ الجميلةَ ممثلةٌ واقفة وهى إبنةُ إخناتون – وفى يدِها إناءٌ صغيرٌ من العطورِ تصبُّ منه برشاقةٍ أنيقةٍ بضعَ نُقَطٍ من الطيبِ فوقَ ملابس زوجِها الملكِ الشابِّ ونجد هنا منظرًا فريدًا فى تاريخ الفن موضُوعُه علاقةُ الإنسانِ بالإنسانِ علاقةٌ بشريةٌ، وهذا يَدُلُّ على أن إخناتون لا يُعْطِى اهتمامًا بالتقاليدِ وقيودها والتخلصِ منها بجرأةٍ وبغير أدنى تردّدٍ، حاول أن يؤسس عالمًا من الأشياء على حقيقته الفطريةِ السليمةِ فكان بهذا رسولا لكلٍ من عالَمَى الطبيعةِ والحياةِ الإنسانيةِ.

كرسي « توت عنخ آمون » – زوجته تضع العطور على ملابسه .

ومن المناظرِ التى تَركَها لنا فنانُ « إخناتون » منظر يُصورُ الملكَ يَتعبدُ وأحد الرعايا رافعًا ذِراعَيْه تضرعًا إلى الله .

عالمية ديانة إخناتون

(أجناسٌ مختلفةٌ من آسيا وأفريقيا ومصر تتعبدُ لآتون) .

• عاصمة إخناتون :

أقام إخناتون مدينته الجديدةَ (إختاتون) (أفق آتون) على مَقْرُبةٍ من مدينةِ ملوى وأمامَ قريةِ « ديرمواس » محافظة المنيا على البرِّ الشرقى للنيلِ. ومساحةُ مدينة إخناتونَ الجديدةِ أو عاصمةِ الإمبراطورية طولها حوالى ١٤ كم وعرضها ٦ كم والمدينةُ التى اختارها إخناتون يحيطُ بها الجبلُ من الشمال والجنوب وهى تمتد من قريةِ تل بنى عمران إلى قريةٍ صغيرةٍ تسمى « الحوطة الشرقية » . والمدينةُ الجديدةُ تقع بين منطقةٍ ضيقةٍ من الأرض الخصبة الزراعية على شاطئ النيل الشرقىُّ والصحراءُ تمتدَّ خلفهَا حتى سفحِ الجبلِ .

ولقد شُيِّدَتْ المدينةُ من الطوبِ اللبنِ والتى ربما استغرق بناؤُها عامين على الأقل حتى يَسْتَطيع الفرعونُ إخناتون والبلاطُ والمصالحُ الحكومية التابعةُ له الانتقالَ معه إلى عاصمتِه الجديدة.

جزء من مدينة « تل العمارنة » .

سمَّى إخناتُون عاصمة ملكِه الجديدةَ (أخت – آتون) فى تل العمارنة « مقر الصدق » « ماعت » باللغة المصرية القديمة . وتعنى أيضا العدالة .

جزء من مدينة « تل العمارنة » – ١٣٧٠ قبل الميلاد .

وقد كانَ أتباعُ إخناتون على علمٍ تامٍ بالاعتقادِ الشديدِ للملك فى « ماعت » العدالةِ والصدقِ ولذلك كان رجالُ البلاطِ يعظمونَ الصدقَ كثيرا إذ يقولُ أحدُ الذين ناصرُوا إخناتون وتولىَّ المُلْكَ بعدَ ذلك ويسمى « آى » : الملكُ يعيشُ الصدقُ فى جسْمِه – وهو يَمْقتُ الكذبَ – إن إخناتون « يمرحُ » فى الصدق وإنه يَسْتريحُ للصدق ويَلعنُ الكذبَ وإنى لا أفعلُ ما يَكرَهُ جلالةُ الملكِ .

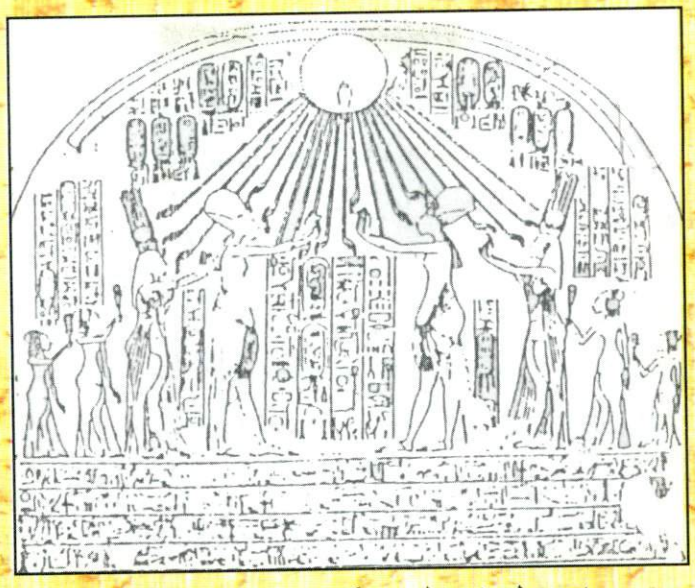

إحدى لوحات الحدود وكان عددهم ١٤ لوحة –
إخناتون وبعض بناته يتعبدون للإله « آتون » .

ولقد احتفلَ الفرعونَ وبلاطُه احتفالاً عظيمًا بإنشاءِ المدينةِ الجديدةِ وسجَّلَ ذلك على إحدى لوحاتِ الحدُودِ التى نَحتَها فى حَرمِ المدينةِ المقدسةِ وعَدَدُ اللَّوحاتِ كان ١٤ لوحةً سُجِّلُ على إحداها:

السنة السادسةُ الشهرُ الرابعُ من الفصلِ الثانى اليوم الثالثَ عشرَ. فى هذا اليوم كان الملك فى سُرَادقَ من نسيجٍ أمر جلالَتهُ بصُنْعِه فى « أخت – آتون » ، ولقد زارَ جلالتُه فى عَربَتِه العظيمةِ المصنوعةِ من الذهبِ المدينةَ الجديدةَ وقام بأولِ جولةٍ له فيها – وأمر جلالَتهُ بذبحِ الذبائحِ وحرقِ البخورِ وتقديم كل الأزهارِ الجميلةِ فى هذا اليومِ الذى أسست فيه « أخت – أتون » (إله الحياةِ والصحةِ والعافية) ولقد أقسم إخناتون أنه لن يتجاوز حدود لوحة « أخت – آتون الجنوبية » لذلك لن يُجاوزِ حدودَ لوحةِ « أخت – آتون الشمالية » أى لن يُغادِرَ مدينتَه الجديدةَ ما كان حيًا .

أقامَ « إخناتون » لنفسِه قصرًا فى حَيِّ المدينةِ الشمالى قريبًا من المعبد الكبير للإله آتون – وهو القصر الذى اتخذتْهُ نفرتيتى لنفسها سكنا بعد انفصالِها عن « إخناتون » ، وكان هناك أيضًا القصرُ الجنوبىُّ علاوةً على العديد من المعابدِ الصغيرةِ التى كانت تُمارَسُ فيها الشعائرُ الدينية للأسرةِ المالكة ورجالِ البلاط ورجالِ الدولة وللأفراد.

وكان يقع فى وسط المدينة مجموعةُ الإدارات المختلفة من سجلاتٍ ومخازنَ وإدارة العمال وأماكنَ للموظفين ثم بعضُ الثكنات العسكرية والإسطبلات للخيول.

• اضطهاد إخناتون :

فعلَ إخناتون كلَّ ذلك فى « تل العمارنة » مدينته الجديدةِ وعاصمةِ ملكه لنشْرِ دينه الجديدِ ، وفى الحق أن علماءَ التجديدِ والإصلاحِ فى هذه الدنيا قد لَقُوا من دُنْياهم مثلما لَقِىَ إخناتون من صُنُوفِ الاضطهادِ والتعذيب والتشريد مثلما يلقى المجرمون والآثمون من أهل الشر فى هذه الدنيا، وكذلك لَقِىَ بعضُ الأنْبياء صُنوفًا من التعذيبِ فسيدُنا إبراهيمُ قد أُلْقِى به قومُه فى النار ونجاه الله منها – ولُوطٌ قد لَقِىَ من قومه ألوانًا منكرةً من سَفاهة الرأىِ وسوءِ الخُلق ، وسيدُنا نوحٌ قد ضاق بقومه ذرعًا ودَعَا ربَّه (أنى مغلوبٌ فانتصر) فأغرق اللهُ قَومَه بالطوفان ثم نَجَّاه ومَنْ مَعَه بالفُلْكِ تحملهُم إلى بَرّ السلامةِ. والمسيحُ بن مُريم قد لَقِى مَن دُنياه شرَّ ما يلْقَى نَبِىٌّ من هَوْلٍ، ورسولُ الله محمد بنْ عبد الله قد لَقِىَ من أهله وعشيرته صنوفَ الاضّطهادِ والتعذيب مما أبكاه وأحزنَ قلبَه وروع فؤادَه ثم حَمَلَه فى آخرِ الأمرِ على الهجرةِ من مكةَ إلى المدينةِ.

• أول تخطيط عمرانى فى التاريخ :

ومن أهم الأشياءِ فى مدينة إخناتون الجديدةِ أنها خَضَعَتْ لما نُطلقُ عليه الآنَ نظامَ تخطيطِ المدنِ والذى بدأ لأول مرة فى هذا المكانِ المسمى الآن « تل العمارنة » فى تاريخ البشرية، فنجد الشوارعَ داخلَ المدينةِ والمبانىَ لها نظَامٌ وتخطيطٌ عامٌّ ومداخلُ البيوتِ وارتفاعاتُها ونوافذُها وحدائقُها كُل هذا فى نظامٍ بديعٍ مَدْروس هندسيا، ولقد سُمِّيتْ الشوارعُ ، بأسماءِ بعض الشخصياتِ الهامةِ مثل « شارع الوزير » أو شارع كبير الكهنة أو باسم صاحب أول منزلٍ يقع على مدخلِ أو ناصيةِ الشارع ، وفى هذه المدينة لاحظْنَا شيئًا هاما وفريدا إذ نجدُ قصرَ الفرعون بجوارِ منزلِ الوزيرِ بجوارِ مسكنِ الصانعِ أو الفنان أو بعضِ العاملين فى الدولة – لم يحدث هذا من قبل مما دعانا أن نُطلِقَ على هذا الأسلوبِ المعمارى – الاجتماعى ديمقراطيةَ الحياةِ بين جميعِ المواطنين فالكلُّ سواسيةٌ أَمامَ الدينِ الجديد.

رأس نفرتيتى وعلى رأسها التاج الخاص بها .

• أُسرة إخناتون :

إن أسرة إخناتون تتكوَّنُ من زَوجتِه «نفرتيتى» وبناتِه وهم «مريت – آتون» ، والثانية « مكت – آتون » والثالثة « عنخس – إن – با – أتون » تزوجها توت – عنخ آمون ، والرابعة هى « نفر – نفرو – آتون» ، كان له أَرْبَعُ بناتٍ ولم يُرزقْ الذكرَ على أن أهم شخصيةِ لَعبتْ دَورًا فى حياتِه هى زوجتهُ الملكةُ «نفرتيتى» والتى يُعتقدُ أنها ابنة «إمنحوتب الثالث» والد «إخناتون» وزوجتُه الملكة « تى » ولكن البعضَ يَعتقِدُ أنها ابنةُ والدِ «إخناتون» من أم ثانوية أو زوجة ثانية غير الزوجة الملكية « تى » أم «إخناتون» وهناك مَن يَقُول إن «نفرتيتى»

إخناتون وزوجته يداعبان أطفالهم .

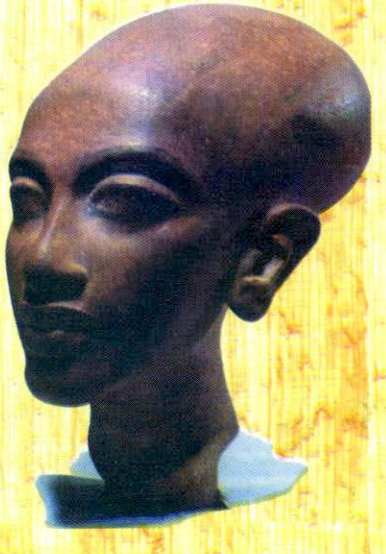

رأس ابنة إخناتون .

أجنبية وليست مصرية من بلاد ميتانى من الشرق أو من جزر البحر المتوسط ونحن نعتقدُ أنها أختُ إخناتون من أبيه ومهما يكنْ أصلُها فهى زوجةُ « إخناتون » صاحبِ فكرةِ التوحيد وهذه الزوجةُ وقفتْ مع إخناتون حينما كذَّبهُ الناسُ وساعدتْه ضد الكهنةِ فى خلافاتِهم معه، وهجرت مدينةَ « الأقصر » عاصمةَ البلاد فى ذلك الوقتِ وسافرتْ مع زوجِها إلى العاصمةِ الجديدةِ فى مصر الوسطى مُحافظةِ المنيا، وساهَمَت معه فى نشرِ الديانةِ الجديدةِ، وقَفتْ معه بَديلاً عن الكهنةِ فى أداء الشعائرِ الدينية - فهى ينطبقُ عليها بحق العبارةُ المشهورةُ « وراءَ كلِ عظيمِ امرأةُ » تقفُ معه وبِجانبِه وتَشُد من أَزْرِه - ولقد كان حظ نفرتيتى مع أم إخناتون زوجها أى مع حماتها الملكة « تى » حظا عسيرًا ، إذْ حَدثَ أنْ زارتها حماتُها الملكةُ « تى » فى العاصمةِ الجديدةِ ودبَّ خلافٌ بَيْنَها وبَيْن زوجها بعد هذه الزيارةِ ، وهجرتْ نفرتيتى زوجَها « إخناتون » وذهبت إلى القَصرِ الشمالىِّ فى المدينة لتعيش فيه بمفردها وهذه أولُ معركةٍ فى التاريخ القديمِ بَيْن الحماة وزوجة الابن منذ ٣٥٠٠ سنة ، والشىءُ الغريبُ أن نفرتيتى اختفتْ بعد هذه الزيارةِ ولم نَسْمعْ عنها شَيئًا حتى وقتنا هذا، لا نعرف متى تُوفِّيَتْ ؟ وأين دُفِنَتْ ؟ وماذا حدثَ لها ؟ حتى اليوم لا نعرفُ شيئًا عن هذه الملكة العظيمة .

• الفنان – تحتمس ورأس نفرتيتى :

ولقد عُثِر فى مدينة « تل العمارنة » على منزلِ الفنان « تحتمس » وكذلك عثر على « الأتيليه » المرسمِ الخاص به والذى كان يصنعُ فيه التماثيلَ الملكية ،

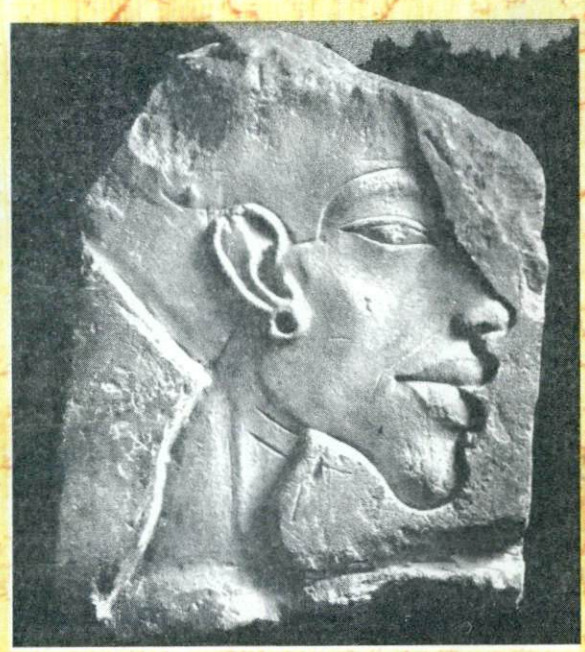

رأس إخناتون يظهر فيها أسلوب الفن الجديد .

ويُعْتَقدُ أنَّ هذا المَثَّالَ هو الَّذِى صنعَ رأسَ نفرتيتى الشهيرةَ والتى تَملأ صورُها الدنيا بأسرِها ، ويقال إنَّ هذا المَثَّالَ كان عاشقًا مُحِبًا مَبْهورًا بجمال نفرتيتى حتى يستطيعَ أنْ يَنحتَ تلك التحفةَ الفنية الجميلة ، والتى أخذها الألمانُ من « تل العمارنة » بعد العثور عليها عام ١٩١٣ إلى برلين وعُرِضَتْ فى أكبرِ متاحفِ برلين يُسَمى « بر – جامون » وذاعَ صَيتُ هذه الرأسِ فى كلِ أنحاءِ العالم بعد عرضها فى متحف برلين – ولقد حاولت الحكومةُ المصريةُ فى بداية الثلاثينيات ١٩٣٤ – ١٩٣٦ محاولة إعادةَ رأس نفرتيتى إلى مصر وتمت مفاوضات مع الحكومة الألمانية والتى وافَقتْ على عَودةِ الرأس إلى مصر وأَخْذِ

رأس نفرتيتى .

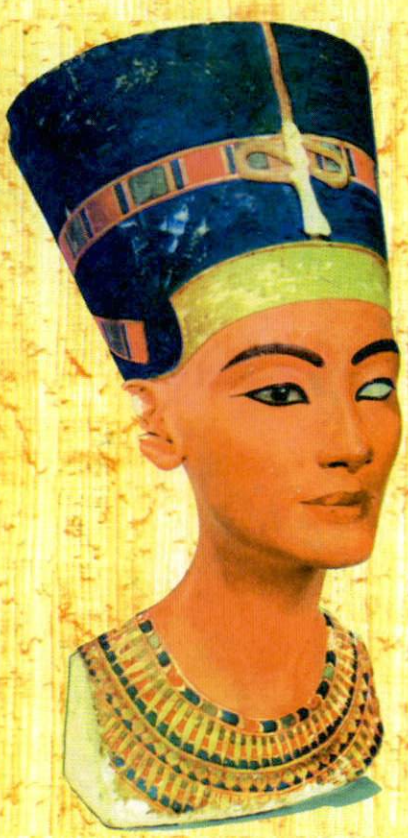

بعضِ القطعِ من المتحفِ المصرى بديلا عن رأسِ نفرتيتى – وقبل وضع الرأس فى الصندوق الذى يحملُها إلى بلدها مصر طلبَ أحدُ أعوان هتلر بأن يُلْقِىَ نظرةً على هذِه التحفةِ الفنيةِ قبل أن تُغَادِرَ ألمانيا عائدةً إلى مصرَ وذهبَ هتلر إلى متحفِ برلين الشهير ودخلَ إلى القاعة الموجودة بها رأسُ نفرتيتى ونَظَر إليها عدةَ دقائقَ ثم أشار بعصاه المارشلية إلى وجهها وقال لها أنت سَتَبْقَيْنَ ، هنا فى ألمانيا ولن تسَافرى – وفشلت المفاوضات وعاد الوفدُ المصرى بدونِ رأسِ نفرتيتى . وأثناء الحرب العالميةِ الثانية أَخْفى الألمانُ الرأسَ فى مكان أمينٍ بعيدٍ عن برلين العاصمة .

وبعد انتهاءِ الحربِ أعادوا الرأسَ مرةً أخرى إلى الجزءِ الغربى من برلين، ومازالت معروضةً حتى الآن يراها ملايينُ الزُّوَّارِ على مدى السنواتِ الماضية كقطعةٍ فنية فريدةٍ، ويُحْكَى أن رجلاً ألمانيًّا كان مُغرمًا بهذه الرأسِ الجميلةِ وكان هناك علاقةٌ روحيةٌ وحبٌ بينه وبين نفرتيتى - فكان يذهبُ كلَّ يوم إلى المتحفِ ويضعُ وردةً حمراءَ أمام التمثال، رمزًا لحبِّه لها وإعجابه الشديد بها وخاصة السحرَ الذى يشعُّ من نظرتها النبيلة وعيونها الجميلة « ومكياجها » المتناسق الذى يتكون من أكثر من لون واحد على طبقاتٍ مما يزيدُ الرأسَ جمالاً وسحرًا - وكانت عينا الملكةِ مطعمةً بقطعةٍ شفافةٍ من « الكريستال » وكان لون عين نفرتيتى عسليتين فقِدَ من إحداهما قطعةُ الكريستال رُبَّما أثناء الكشفِ عنها أو نقلها.

ويَصِف أحدُ رجالِ الفن هذه الرأسَ بقوله إنها تَبْدو وكأنَّها حيَّةٌ لا يَنْقُصها إلا الماءُ والدماء والروحُ لتتحدثَ إليك ، كانت نفرتيتى لها شخصيةٌ قويةٌ وجمالٌ ملفتٌ للنظرِ وذكاءٌ فى نظرتها وابتسامتها العذبةِ الرقيقية ، إنه - أى رأسُ الملكة - له تأثيرُ السحرِ فى نفسِ كلِ من ينظرُ إلى هذه التحفةِ الفنية الرائعةِ .

وفى مقابرِ الأشراف وكبارِ رجال الدولة مُثِّلتْ نفرتيتى وبناتُها بملابسَ كَتَّانيَّة شَفَّافةٍ تُظْهِرَ مفاتِنَ وتفاصيلَ الجسم علاوةً على أنها كانت تَلبسُ ملابسَ شفافةً من قطعةٍ واحدةٍ والشيء الغريبُ أن المرأة فى أغلب الأحيان كانت ملابسُها قطعةً واحدةً فقط وكانت ملابسُ الرجلِ قطعتَيْن، ولكن لابدَّ أن أذكر أن المرأة المصريةَ القديمةَ لم تُصَوَّرْ (أو تَرْسَم) ولو لمرةٍ واحدةٍ دونَ ملابسَ بمعنى لا يُوجدُ على جُدْرانِ المقابرِ والمعابد منظرٌ يُظْهِرُ المرأة المصريةَ القديمةَ عاريةً مِثْلَمَا نُشاهِدُ فى الحضارةَ اليونانيةَ والرومانية .

• مقابر (الحكام) الأشراف والنبلاء ورجال البلاط :

لقد اختارَ إخناتون الجبلَ الشرقيَّ لمدينته الجديدةِ (أخت - آتون) « تل العمارنة » والتى حددها بعد ١٤ لوحة منحوته فى الجبل كما سبق أن ذُكرَ واقسم ألاَّ يُغادِرَها ما كان حيًا - فى هذا الجبل الشرقى نُحِتَتْ مقابرُ الأشرافِ والنبلاءِ ورجال الدولة من العظماءِ ومَنْ يحملون لقبَ حاكم المدينة - والوزير « نخت » والذى كان يملك قصرًا فاخرًا فى مدينة « العمارنة » وله مَقبرةٌ فى الجبل الشرقى والذى كان يُعتَبر الجبلَ الغربيَّ بالنسبةِ للمدينةِ وسكانها. وهنا يَجبُ أن نعلمَ بأن القاعدةَ عند فراعنةِ وادى النيلِ أن تكونَ مدينةُ الأحياءِ والقصرِ الملكى ورجالِ الدولة والبلاطِ والموظفين يسكنون شرقَ النيلِ - أما المقابرُ والمعابدُ الجنائزية تَقعُ غربَ النيلِ وهناك بعضُ الاستثناءات القليلةِ طَوال عصور التاريخ - أما فى عصر « إخناتون » فقد شَذَّتْ القاعدةُ تمامًا مثل كثير من الأشياء إذ نجدُ مدينةَ الأحياء من قصورٍ ومنازلَ وإداراتِ رجال إخناتون - المشرفِ على الجنود - والمشرفِ على الحريم الملكى - والمشرفِ على الخزانة - علاوةً على المعابدِ كلٌّ شُيِّدَ شرقَ النيلِ .

وأيضًا شرقَ النيل تَقعُ مدينة الأموات - المقابر - كلها نُحِتَتْ فى الجبلِ الشرقى فى نفسِ المنطقةِ التى حدَّدَها إخناتون لمدينته أى أَنَّ مدينة الأحياءِ - ومدينة الأمواتِ كلها فى مكانٍ واحدٍ .

وعلى جُدرانِ هذه المقابر الكثيرُ من النقوشِ والصُّورِ منها البارزُ ومنها الغائرُ وأغلبُها كان مُلونًا ويَغْلبُ اللونُ الأزرقُ المحببُ لإخناتون على أغلب المناظرِ .

وفى إحدى المقابر لشخص يُدْعىَ « حويا » نَجدُ منظرا إنسانيا ألا وُهَو : إخناتون – مع أمه الملكةِ « تى » وزوجِه نفرتيتى يأكلُونَ ويَشْربونَ من على مائدةِ الطعامِ وبناتُ إخناتون يأكلْن الفاكهةَ وأرادَ الفنانُ أن يُظهرَ أنَّ ذلك كان لَيْلاً فنجد المصابيحَ المُضَاءةَ فوقَ أعمدةٍ صغيرةٍ ، ونَجدُ أيضا مجموعةً من الراقصاتِ والمغنيات المصريَّات والأجنبيات .

وأيضا على إحدى اللوحاتِ الحجرية نجد إخناتون جالسًا مُسْترْخيًا وأمَامَهُ زوجُه نفرتيتى وبناتُهن الأربع يُداعِبُهن الأبُّ والأمُّ بإعطائهن هدايا ذهبيةً وكلُّ واحدةٍ تحاول التقاطَ هديتها.

إخناتون وزوجته يداعبان أطفالهم .

• نشيد آتون – بهاء آتون :

على أن أهم ما وصلنا من عصر إخناتون هو ما نُطلِقُ عليه نشيدَ إخناتون أو صلواتِ وتضرعاتِ الملكِ والملكةِ والمؤمنين بالديانةِ الجديدةِ وهاك بعضَ ما وصلَ من هذا النشيد؛ نشيد آتون (بهاء آتون) :

– أنت أتون الحي الذى كنت فى أزلية الحياة .

– جميع المخلوقاتِ – الماشيةَ فى مَراعيها – الطيورُ فى مستقعاتها – جميعُ الغِزلان – جميعُ المخلوقات التى تمشى أو تطيرُ أو تحطُّ على الأرضِ تحيا بقدرتكِ .

– أنت خالقُ البذرةِ فى المرأة – وجاعلُ الولدِ يعيش فى بطن أمه هادئا لا يبكى – مرضعًا إياه فى الرحمِ .

– أنت تُعْطى النَّفَسَ حتى تحفظَ حياةَ كلِّ إنسانٍ خلقته – حينما ينزلُ من الرحمِ (من بطن أمه) يومَ ولادِته – وأنتَ تفتحُ فمهُ وتمنحهُ ضَرُوريات الحياةِ .

– الفرخُ الصغيرُ فى داخل البيضةِ تُعْطية النَفسَ .

وقَدَّرت له ميقاتًا فى البيضة ليَخرْجَ منها .

ويَخْرجُ فى ميقاتِه الذى قَدَّرْتَه له.

– أيها الإله الأحدُ الذى لا يُوجدُ بجانبه أحدٌ .

لقد خَلَقْتَ الأرضَ حَسْبَ رغبتكِ.

– خلقْتَ الناسَ – وجميعَ الماشيةِ وجميعَ النباتات وكلَّ ما على الأرض .

خلقت كلَّ شيءٍ في سوريا – وكوش (السودان) وأرضَ مصرَ والعالَمَ أجمعَ.

– إنك تضعُ كلَّ إنسانٍ في موضِعِه .

وتمدُّهم بحاجاتهم وكلُّ إنسانٍ لديه قُوتُه (أكله) .

أحد المواطنين يتعبد لآتون .

– وكذلك كلُّ إنسانٍ أيامُه معدوداتٌ .

– لقد مَيزْتَ شعوبَ الأرضِ باختلافِ ألسنتهم وألوانِهم وأشْكالِهم .

– أنت خلقت السمواتِ العلا .

– ليس هناك أحدٌ آخر يعرفُك إلا ابنُك (وكاهنُك – إخناتون) .

– لقد جعلتهَ عليمًا بكلِ مقاصدِك .

– العالمُ يَعيشُ بصنعِ يَدَيْك .

– أنت فجرَّتَ النيلَ لمصر من بَاطنِ الأرضِ .

– أنت تخلُق النيلَ كما تشاءُ .

– ليحفظَ أهلَ مصرَ أحياءَ .

لأنكَ خالِقهُم – وسيدُهم جميعًا .

– أنتَ خلقْتَنى (إخناتون) .

ملكُ الوجهِ البحرِى والوجهِ القبلِى .

العائش فى الصدق .

– لقد خلقتَ المَلِكةَ والزوجةَ المحبوبة .

سيدةَ الأرْضِ – نفرتيتى .

عاشتْ وازْدهَرتْ أبدَ الآبدين .

– إن نورَك يا آتون يَسطعُ فى السماءِ .

– إنه يُبَدِّد الظلمات .

– وعندما تُرْسلُ أشِعتَك .

– تُصبِحُ مصرُ كلُّها فى عيدٍ .

– أنت خالقُ الكلِّ ومانحهم قوتهم .

– أنتْ راعٍ لجميعِ الناس .

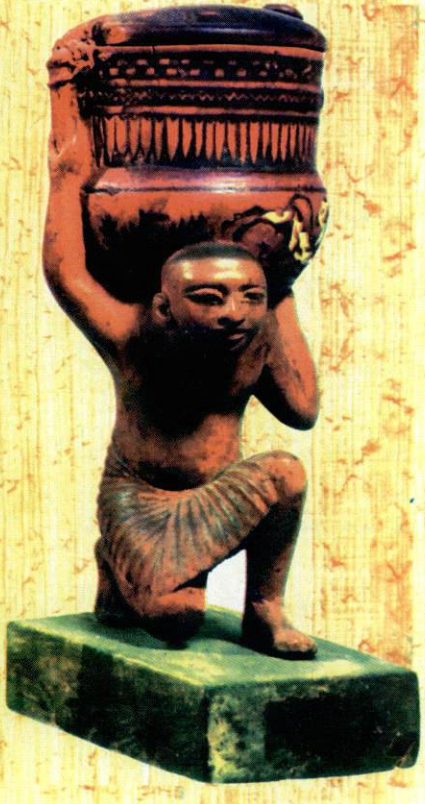

أحد الأفراد يمثل فن
« تل العمارنة » .

• نهاية إخناتون :

على أنه بعد سقوط « إخناتون » لم يترُكْ أعداؤهُ حجرًا واحدًا لم يقلبوه لإزالةِ كلِّ أثر باقٍ يدلُّ على مدةِ حكمة المكروهِ عندَهم - وقد أَتلفُوا بطبيعةِ الحالِ أَغلبَ المخطوطاتِ الملكيةِ المدوَّنةِ على وَرقِ البرْدِى، وأغلبُ معلوماتِنا التى ذكرناها من عقائدِ إخناتون وديانتِه عرفناها مِنَ النّقوشِ الموجودةِ على مقابر أتباعِه والتى زيِّنَتْ جدارنَ مقابرِ الأشرافِ ورجال الدولة وحكامها الذين رافقُوا إخناتون وتركوا العاصمةَ طيبةَ فى الجنوبِ وذَهبوا إلى المدينةِ الجديدة « تل العمارنة » .

وبكل أسفٍ أغلبُ مناظرِ قُصورِ إخناتون فى عاصمته « تل العمارنة » الحاليةِ ومنازل رجالِ الدولهِ ومعابدِ الإلة « آتون » سُرِقَتَ أو دُمِّرَت إلى الأبد بأيدى اللصوصِ والمخربينِ فى عصرنا الحديثِ من أهالِى القرى المجاورةِ لبلدةِ « تل العمارنة » .

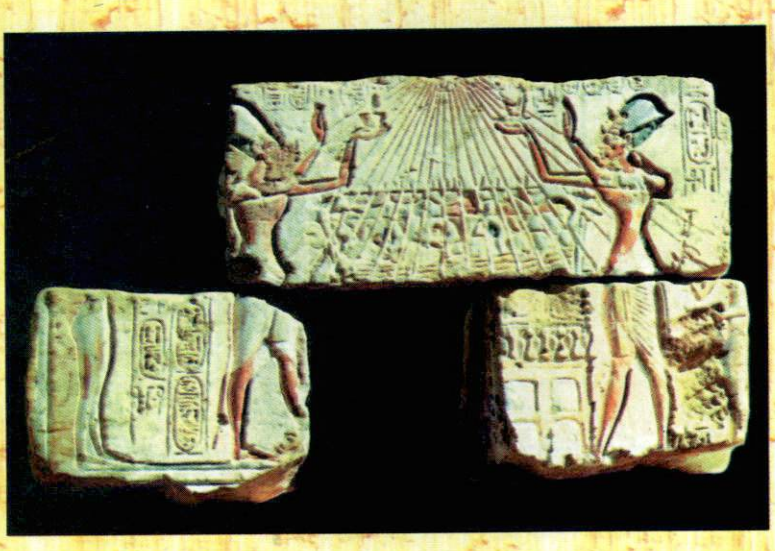

إخناتون يتعبد للإله آتون .

وبكل أسفٍ لقد كانت دعوةُ إخناتون ينقصها سلاحُ العنفِ والشدةِ للدفاعِ عن الدينِ الجديدِ وربما أرادَ إخناتون السرعةَ ونَسِيَ أَنَّ طبيعةَ الأشياءِ تأبى السرعةَ .

وهكذا بعد ١٨ عاما من حكم إخناتون لمصر نَشرَ دينه الجدَيد ، دينَ الإيمانِ بإله واحدٍ لأولِ مرة فى تاريخ مصرَ، مهدِ الحضاراتِ وحاميةِ الأديانِ ، لأن شعبَها مؤمنٌ يخافُ اللهَ .

وحدثتْ الردةُ وحكمَ مصرَ شابٌ صغيرٌ لم يتجاوزْ ٩ سنوات هو توت – عنخ – آمون – عادَ إلى طيبة، وهجرَ تلَّ العمارنة وَفرحَ كهنةُ أمون وعادتْ الديانةُ القديمةُ إلى سيرتِها الأولى وعبادةِ أمون – رع – وعادت طيبة (الأقصر) عاصمةُ للبلادِ القديمةِ .

• المراجع :

١ – سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الخامس (السيادة العالمية والتوحيد) ، الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ .

2 - C. Seele, When Egypt Ruled The East, London, 1957.

رقم الإيداع	٢٠٠٠/١٥٩٩٤	الترقيم الدولى	977-02-6068-1	ISBN

٧/٢٠٠٠/٣٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)